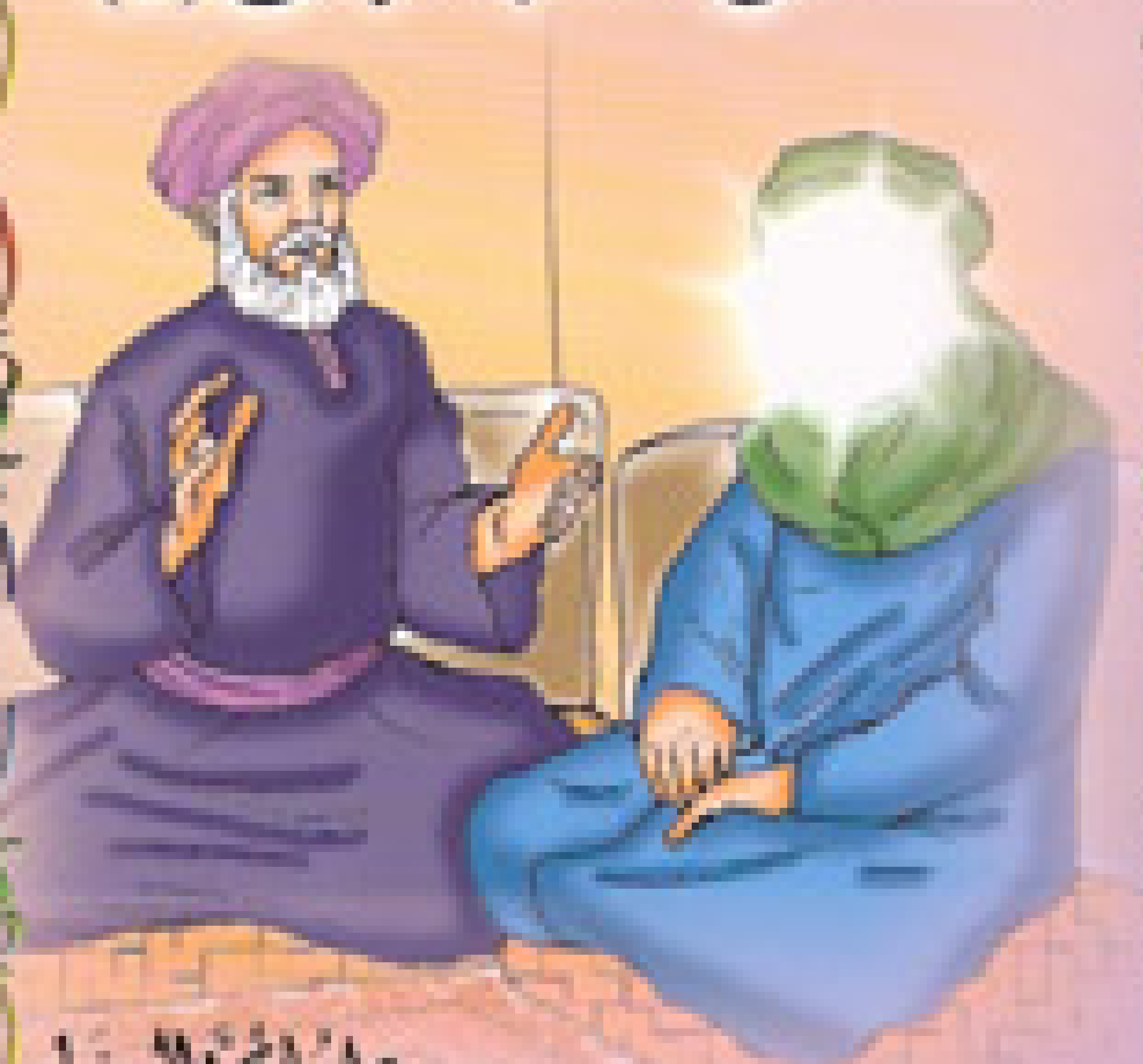
سلسلة حياة
الرسول وأهل بيته (ص)
من المهد إلى اللحد

الإمام
الحسن المجتبى (ع)



دار المحجة البيضاء

نظرَ الخادمُ إلى الإمامِ الشابِ عليٍّ(ع) وهو يذرعُ باحةَ البيتِ جيئةً وذهاباً. يبدو القلقُ والاضطرابُ على محيّاهُ. ويُكثِرُ بالدعاءِ إلى ربّهِ أن يَرُدَّ الخطرَ عن زوجتِهِ الحبيبةِ التي تعاني آلامَ الولادةِ في هذهِ اللحظة.

كانَ مضطرباً أشدَّ ما يكونُ الاضطراب. فها هو اليومُ الموعودُ قد اقتربَ، وما هي إلاّ لحظاتٌ معدوداتٌ وسيصبحُ أباً.

كم انتظرَ هذا اليوم.. إنّهُ شعورٌ جديدٌ لم يعرفْ لَهُ من قَبْل مثيلاً. لكنّهُ كان قلقاً وخائفاً أيضاً، فزوجتُهُ رقيقةٌ وآلامُ الوضع مضنية.

ومرةً أخرى رفعَ يديهِ إلى السماءِ بدُعَاءٍ ورجاءٍ كأعذبِ ما يكونُ بقلبٍ مؤمنٍ ومخلصٍ وما أن أسبلَ يديهِ حتّى تناهَى إلى سمعهِ صوتُ بكاءِ طفلهِ الحبيب. فتعاظمَ خفقانُ قلبِهِ وامتلأتْ عينُهُ بدموعِ الفرحِ فرفعَ يديهِ شكراً للهِ على فضلهِ ونعمتِه.

جاءَهُ صوتُ الخادمةِ مِنْ وراءِ الباب:

ـ «البُشرى يا مولاي ... لقد ولَدَتْ مولاتي طفلاً جميلا».

غمرَتْهُ السعادةُ، لكنّهُ ما زالَ مسكوناً بالقلقِ فتساءل:

ـ «ومولاتُكِ فاطمةُ (عليها السلام) .. كيفَ هي؟».

أجابَتْ الخادمةُ:

ـ «إنّها بخير».

ما أن سمعَ الخادمُ ذلكَ حتّى انطلقَ مسرعاً إلى الرسولِ (ص) ليزفَّ لَهُ الخبرَ السعيد.

أما فاطمة (عليها السلام) فقد احتضنَتْ وليدَها ترمقُهُ بنظراتِ حنونةٍ وكانت تفكّرُ:

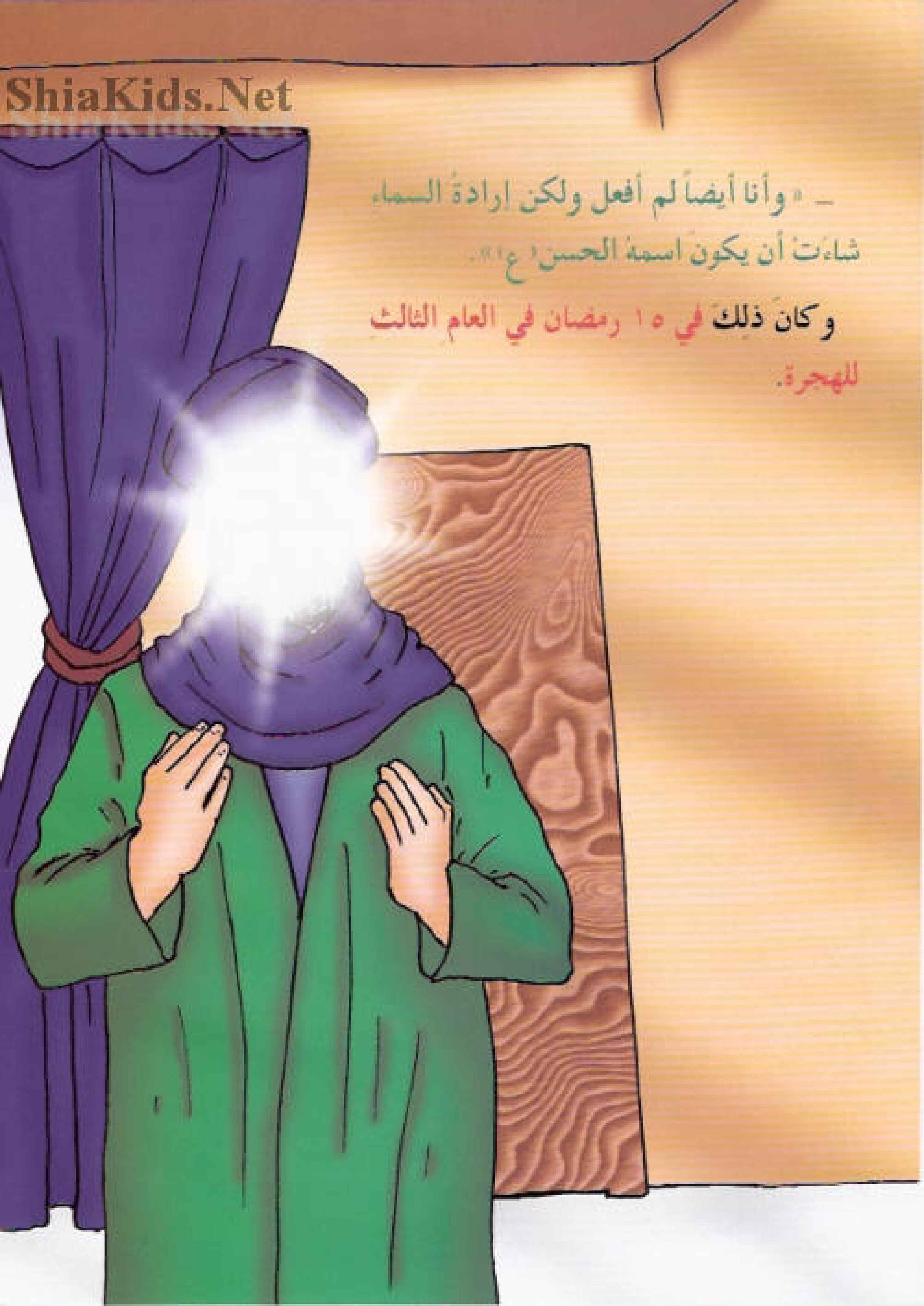
ـ «يا الله ما أجملَهُ وأعذبَهُ من طفلٍ جميل».

لم يتأخّر الرسولُ (ص) في المجيءِ فهو أيضاً كانَ بلهفةٍ لرؤيةِ حفيدهُ. تناولَ الطفلَ من يديَّ أمّهِ وضمّهُ إلى صدرِهِ وكبّر وهلّل في إذنه ثُمَّ شمَّهُ وقبّلَ فَمَهُ.

التفتَ إلى أبيهِ وسألَهُ عن اسمِهِ. فقالَ الإمامُ (ع):

ـ «ما كُنْتُ لأفعلَ ذلكَ وأنت جدّهُ وأولى بتسميته».

فقالَ الرسولُ (ص) مبتسماً:



ـ «وأنا أيضاً لم أفعل ولكن إرادةُ السماء شاءَتْ أن يكونَ اسمهُ الحسن (ع)».

وكانَ ذلكَ في ١٥ رمضان في العامِ الثالثِ للهجرة.

أقامَ الرسولُ(ص) وليمةً كبيرةً بمناسبةِ مولدِ حفيدِه. وقد حضرَها المسلمونَ جميعاً وشاركوا الرسولَ فرحتَهُ وبهجتَهُ. وكانَ منْ ولع الرسولِ بحفيدِهِ أنَّهُ كانَ يحملُهُ معهُ أينما ذهبَ سواءً في المسجدِ أو البيتِ.

كانَ لا يفتأُ أن يُردِّدَ أمامَ النَّاس:

ـ «هذا ابني .. إنِّي أحبُّهُ وأحبُّ من يُحبُّه».

ويقولُ وهو يشيرُ إليه:

ـ «ابني هذا سيِّدُ أهلِ الجنَّة».

أما الحسن(ع) فلم يناديه إلاّ بأبي.

عاشَ الصغيرُ أسعدَ أيَّامِ حياتِهِ مع جدِّهِ التي امتدَّتْ لثماني سنواتٍ. كانَ خلالَها يغمرُهُ بالحنانِ والحبِ. وعندما توفي جدُّهُ عَرفَ لأوَّلِ مرَّةٍ الألمَ وهو يتسلَّلُ إلى قلبِهِ الصغيرِ، والحُزْنُ يُظلِّلُ عالمَهُ الجميلِ.

لم يتوقفِ الأمرُ عندَ ذلكَ الحدِّ، بل تفاقمَ بمرورِ الوقتِ. فأُمُّهُ قد غَرقَتْ بالحزنِ لفقدانِ أبيها الحبيبِ، وآلمَها وأغضبَها إعراضُ النَّاسِ عن وصيةِ أبيها وتخليهم عن زوجِها. وكانت المأساةُ أكبرَ من قدرتِها على التحمُّلِ. وَهَنَتْ قواهَا وبدأَتْ تَذْوي شيئاً فشيئاً

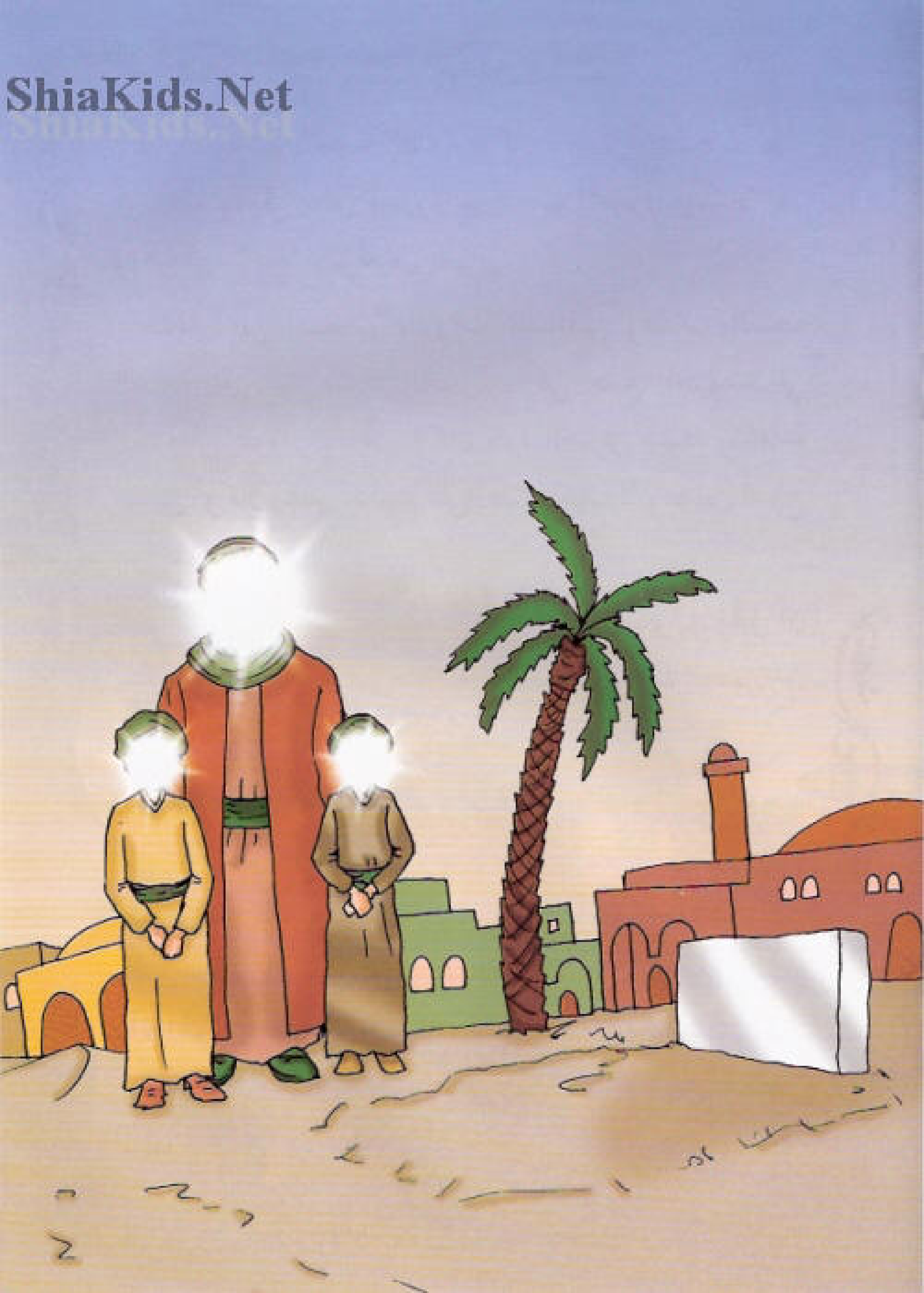
حتّى ذَبُلَتْ تماماً ـ وأخيراً حلّتْ الكارثةُ وتوفّيت والدتُهُم ولم تمضِ شهورٌ
قلائلَ على رحيلِ جدّهِم.



أصبحَ البيتُ الذي كانت السعادةُ والهناءُ يغمرانه، مسكوناً بالحزنِ الآن. ودّع الحسنُ(ع) وإخوته هناءات الحياة السابقة ووداعتها. جلسَ الهمُّ والغمُّ بكُلِّ ثقلِه على عالَمِهم الصغير. وحلّتْ محلَّ ضحكاتِهم الرقيقة بكاءٍ دائمٍ على جدٍّ مضى وأُمٍّ فارقتْ الحياةَ وهي في مقتبلِ العمرِ وريعان الشباب.

انقضتْ الأيامُ وكبُرَ الحسن(ع) خلالَها وأصبحَ شاباً. وكان يلازمُ مع أخيه الحسين(ع) أبيهما الذي اعتزلَ النّاسَ إلاّ قليلاً. يَستقي من نبعهِ العلْمَ والحكمةَ والإيمانَ والتقوى. وكانَ يتعجّبُ منَ النّاس كيف انصرفُوا عن أبيهِ وأجلسوا مكانَهُ من لا يملكُ ذرّةَ علم مقارنةً بأبيه. لكنّهُ كان يرى النّاسَ أيضاً تلْجأُ لَهُ في كُلِّ مُعضلةٍ ومشكلةٍ يُواجهُوها.

وعندما تعرّضتْ الدولةُ للخطر وبعدَ مصرع عثمان شاهدَ الحشودُ تتدافعُ إلى أبيه تُطالبُهُ بأن يتولى الخلافةَ ويُصْلحَ من أمرهم ويقيمَ العدالةَ المفقودةَ بإنصاف فقيرهم والحدِّ من طغيان الأغنياء.



قَبلَ الإمام(ع) المهمةَ الصعبةَ. وكان الحسن(ع) بجانبه يعينهُ في عمله ويتولّى بعضَ مسؤولياتِ الحكمِ الكبيرةِ. بهمةٍ لا تفتُر ورغبةٍ في الإصلاحِ لا تعرفُ التواني.

عندما أعلنَ أصحابُ الثرواتِ المنافقين وطلابِ السلطةِ الحربَ على أبيه. شاركَ الحسن(ع) في جميعِ الحروبِ: في الجملِ والنهروانِ وصفين وكان يقودُ الجيوشَ ببسالةٍ وشجاعةٍ فائقتين، وكانَ ينقضُّ كالنسرِ على أعدائهِ كيف لا وهو ابنُ أشجعِ العربِ.

في عام ٤٠ للهجرة أستشهدَ الإمامُ عليّ(ع) بمحرابه. وقبلَ أن ينتقلَ إلى جوارِ ربّهِ أوصى بالإمامةِ والخلافةِ إلى ابنهِ الحسن(ع) وأوصى آلَ بيتهِ بإطاعتهِ.

في هذهِ الأثناء كانَ معاويةُ وجيوشُ أهلِ الشامِ تستعدُّ للهجوم على الحسن(ع) لاغتصابِ الخلافةِ. فقامَ الإمامُ(ع) بتجهيزِ جيشهِ لكنّهُ سرعانَ ما اكتشفَ أنّ جيشَهُ غيرَ مؤهلٍ للمواجهةِ فقد كانَ ينقصُ بعضُهم الحماسَ للقتالِ، أما البعضُ الآخرُ ممّنْ أغرتْهم الدنيا وأغواهُم الشيطان فكانوا يعدونَ العدةَ للالتحاقِ بعدوّهِ بل أنّ قائدَ جيشهِ «عبيد الله بن العباس» قد باعَ جيشَهُ إلى معاويةِ مقابلَ المالِ.



وزادَ الأمرُ سوءاً إقدامُ بعضِ المتمردينَ الخونةَ على محاولةِ اغتيالِ الإمامِ الحسنِ(ع) لكنَّ محاولتهم فشلَتْ ولم يستطيعوا سوى طعنه بفخذهِ. في هذهِ اللحظاتِ الحرجةِ. تطلّعَ الإمامُ(ع) إلى الفئةِ المخلصةِ من جيشهِ الذينَ عاهدوهُ على القتالِ حتّى استشهادِ آخرِ رجلٍ منه فوجدَها قلّةً قليلةً لا يستطيعُ بها مواجهةَ عدوٍ متفوقٍ. لهذهِ الأسبابُ وحفظاً لحياةِ اتباعهِ المخلصين وصوناً لأعراضِهم وإبقاءً لممتلكاتِهم اضطرَّ الإمامُ(ع) لعقدِ الصلحِ مع معاويةِ فتنازلَ عن الحكمِ. مقابلَ أن يلتزمَ معاويةَ بحكمِ الشرعِ وأن لا يتعرَّضَ للشيعةِ بأيِّ سوءٍ.

بعدَ إتمامِ الصُلحِ. عادَ الإمامُ(ع) إلى المدينةِ وعاشَ عشرَ سنينٍ كانَ فيها مَحَطَّ أنظارِ طُلابِ العلمِ. فقصدوهُ للاغترافِ من علمهِ الجليلِ. وفي مسجدِ جدّهِ رسولِ اللهِ(ص) حلقةٌ كبيرةٌ من الرواةِ تَتَحلّى حولَهُ يروي لَهُمْ الأحاديثَ ويفسّرُ لهم كلامَ اللهِ ويُبين لهم طريقَ الحقِّ والفضيلةِ.


ShiaKids.Net
ShiaKids.Net

ShiaKids.Net

هكذا عاشَ الإمامُ(ع) في مدينةِ جدِّهِ عالماً وعابداً. لكنَّهُ لم يَبْتَعِدْ عن الصلاحِ والإصلاحِ فكانَ يهاجِمُ مغتصبَ الخلافةِ معاوية يجهرُ بمعايبِهِ ويكشفُ عن مساوئِهِ وانحرافِهِ. فأثارَ ذلكَ مخاوفَ السلطاتِ وأرعبَهُم. وبعدَ محاولاتٍ فاشلةٍ لقتلِهِ، استطاعوا أخيراً من إغراءِ زوجتِهِ «جعدة بنت الأشعث» فسقتْهُ السُّمَ. استشهد الإمام(ع) على أثرِها في السابعِ من صفرٍ عام ٤٩ للهجرة. وكان قبلَ وفاتِهِ أوصى الإمامَ الحسينَ(ع) بأهلِهِ وأوصى شيعتَهُ باستخلافِهِ من بعدِهِ.

خيَّمَ الحُزْنُ على المدينةِ عندَ سماعِ خبرِ وفاةِ الإمامِ(ع) وخرجَتْ بأسرِها لتشيعِ الجثمانَ الطاهرَ إلى مثواهِ الأخير. وكان قد أوصى بأن يُدْفَنَ بجوارِ جدِّهِ(ص) ولكن بنو أميّةَ منعوا النّاس من ذلكَ.. فدُفِنَ إلى جوارِ جدَّتِهِ فاطمةَ بنت أسد.

فسلامٌ عليهِ يومَ ولدَ ويومَ ماتَ ويومَ يبعثُ حياً.

